

تَارِيخُ شُعْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ

العصرُ
العبَّاسي
الثاني
أبو فراس الحمداني



مراجعة

أحمد عبد الله فرهود

إعداد

الدكتور محمد حسني مرشد

جميع الحقوق محفوظة لدار الفكر العربي بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسويله إلا بإذن مكتوب من الناشر .



منشورات

دار القلم العربي بحلب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف : ٢٢١٣١٢٩ ص.ب. : ٧٨ / فاكس : ٢٢١٢٣٦١ - ٢١ - ٠٠٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

اسمه ومولده ونشأته

هو الحارثُ بن سعيد بن حمدانَ الحمدانيّ التَّغْلِيّ، كان أبوه والياً على الموصل للخليفة الراضي^(١)، وكان مشهوراً مثل إخوته وأبناء أسرته بالفروسية والشجاعة، واقترن بفتاة رومية أنجب منها ابنه الحارث سنة ٣٢٠ هـ، ولقبه أبا فراس، وهي كنية الأسد.

ولم يلبث سعيداً أن قُتل غدرًا وابنه يخطو في سته الثالثة، وعُينت به أمه فهيأت له معلمين أكفاءً، وكذلك غني بتربيته ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة (علي بن عبد الله بن حمدان)، فلما انتقل سيف الدولة إلى حلب سنة ٣٣٣ هـ اصطحب معه أبا فراس، واهتم بتربيته على الفروسية، كما اهتم بتعليمه الأدب، وكلف ابن خالويه بتعليمه، وما من ريب أنه أفاد من الحركة الأدبية العلمية الكبيرة التي حرص سيف الدولة على تنشيطها في بلاطه، وما كاد أبو فراس يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى ولّاه منطقة منبج في الشمال الشرقي من حلب، وفي تلك الأثناء كان سيف الدولة يكثّر من الإغارة على الدولة البيزنطية، فكان يصحبُه أبو فراس، وأحياناً كان أبو فراس يُغير عليهم من دون سيف الدولة، فقد نشأ على حبّ الجهاد ومصاولة الأعداء، وهو القائل :

(١) أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق طليحة بن المتوكل، ولد سنة ٢٩٧ هـ، وبويع بالخلافة سنة ٣٢٢، ومات سنة ٣٢٩ هـ عن اثنتين وثلاثين سنة.

أتعجب أن ملكنا الأرض قسراً
 وتربط في مجالسنا المذاكي
 وهذا العز أورثنا العوالي
 وأمثال القيسي من المطايا
 فقسراً إن حالاً ملكتنا
 وأن تمنسي وسافدنا الرقاب
 وتبرك بين أرجلنا الركاب^(١)
 وهذا الملك مكنه الضراب^(٢)
 يجب غراسها الخيل العرب^(٣)
 لحال لا تدم ولا تعاب^(٤)

الطالبيّة

مع أن حكام حلب كانوا ولاة للعباسيين ، كانوا يمارسون حُكماً ذاتياً
 غير مركزي ، وكانوا على المذهب الجعفري الإمامي الاثني عشري ، بينما أهل
 حلب من مذهب الجماعة ، وما كان ذلك بضائر للخلفاء ما دام القائمون على
 الثغور يذبّون عن ديار الإسلام ، وكان هؤلاء الخلفاء نظروا إلى واقع المسلمين ،
 فأخذوه على ما هو عليه ، فليس ثمة خطر في المخالقات الفقهية التي توسّع على
 المسلمين ، مما ينطوي تحت إرشاد الحديث الشريف : ((اختلف أمتي رحمة)) ،
 وهو اختلاف بسبب مناهج البحث للوصول إلى الحكم الأصحّ ، بحسب اجتهاد
 المجتهدين ، ولا يؤدي إلى تعادٍ ولا تحاقد ، فإن مارسه المسلمون بأسلوب ورع
 كان لمصلحتهم جميعاً ، وإن تناولوه بتعصّب وبغير حكمة لم يكن سليم العاقبة .

(١) المذاكي : الخيول الفتية . الركاب : الإبل . كان الأمير يخصّص بعض غرف قصره
 للخيول وأخرى للإبل ، بسبب حياتهم الحربية .

(٢) العوالي : الرماح . يقول إن قوة السلاح هي التي بنت مجدهم .

(٣) المطايا : الركائب ، يريد الخيول . يجب : يلقيح . العرب : الأصيله . ولما أورثهم
 هذا الجد الخيول المولودة من آباء أصل .

(٤) قسراً : أي أقصروا وكفّوا عن استغرابكم لحالنا .

وكان بنو حمدان شيعةً جعفريةً ، ويُحَمَّدُ لهم أَنهم جعلوا دَيْدَنَهُمْ^(١) ووكدهم^(٢) في مجاهدة الدولة البيزنطية ، وصَدَّ هجماتِها ، وكان سيف الدولة كلَّما رجع من غزوهم نقضَ عنه غبار المعركة وجمع ذلك الغبار ، فلما صار لديه منه مقدار يكفي لصنْعَ لَبَنَةٍ صنعها ، وأوصى بوضعها تحت رأسه في جدته . وعلى هذه الشَّاكِلة من الاهتمام بمناضلة البيزنطيين كان أبو فراس ، لكنْ قد يَكْبُو الجواد ، وقد ينْبُو السَّيف ، وقد يَشْرُدُ المرء ، فإذا هو ينسَى أن العباسيين هم الذين ولَّوا بني حمدان ، وإذا هو يفاخرهم ، بل يهاجمهم هجوماً في إحدى قصائده ، في مثل قول :

يا للرجال ، أما لله منتصف	من الطُّغاة ؟ أما للدين مُنتَقِم ؟
لا يُطْفِئُ بني العباس ملكهم	بنو عليٍّ مواليتهم وإن زعموا
وما توازن يوماً بينكم شرف	ولا تملأت بكم في موطن قدم
كم غدره لكم في الدين واضحة	وكم دم لرسول الله عندكم

ويشير في البيت الأخير إلى ما صنعه العباسيون ، وكانوا دُهاةً ، إذ استغلوا نقمة الشيعة على بني أمية ، فنظَّموهم في خلاياهم السرية وقت الإعداد للثورة ، فلما انتصرت الثورة أعلنوها عباسيةً ، ولم يؤلُّوا من الطالبين إلا مَنْ سار في ركاب السياسة العباسية ومن ثار منهم عصفوا به .

وَيَمْضِي الشاعر فيذكر إيقاع الرشيد يحيى اليرمكي ، وكان يميل إلى الطالبية ، فيقول :

يا جاهداً في مساوئهم يَكْتَمُها	غَدْرُ الرشيد ييحيى كيف ينكتم
---------------------------------	-------------------------------

(٢) وكَد : اجتهد واهتمام .

(١) ديدن : عادة .

وكان الرشيدُ شديدَ الإكبار ليحيى البرمكي ، لأن المهدي والد الرشيد هو الذي أدنى يحيى ، فنشأ الرشيد على محبته ، فلما آل الحكم إلى الرشيد أطلق يدَ يحيى البرمكي في الدولة ، فلم يكن يصدر شيء في الدولة إلا عنه وعن ولديه جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى ، ولكنه أحسَّ فيهم ميولاً لإحياء الأجداد الفارسية والقومية الفارسية ، والانفصال بإيران عن بغداد ، فنكّل بهم .

ثم يشير أبو فراس إلى تسلّط الأتراك على قيادة الجيش لمدة قرن من الزمان (١٣٢ - ٢٣٢) ثم نفوذ بني بويه من الفرس بعد ذلك (٢٣٢ - ٣٣٤) ، فيقول :

أبلغَ لديكَ بني العباس مألُكَةً : لا تدعوا ملكها ؛ ملكها العجمُ^(١)
أيُّ المغاخرِ أمنت في منابرهم وغيركم أمرٌ فيهنّ مُحْكَمٌ

فصحيحٌ أنَّ الخلفاء من بني العباس ، لكن كثيراً من زعماء الدولة وكبار ساستها أعاجم . ويقول أبو فراس إنَّ الطالبين كثير و التلاوة ، لا يتعاطون الخمر ، ولا يقارفون معصيةً بينما العباسيون - في زعمه - عاكفون على اللهو والإفساح للمغنيات والمغنين ، وعلى شرب الخمر :

تبدو التلاوة من أبياتهم أبداً وفي بيوتكم الأوتار والنغمُ
منكم عليّةٌ أم منهم وكان لهم شيخ المغنين إبراهيم أم لكم^(٢)
ما في ديارهم للخمر معصراً ولا بيوتهم للسوء معصمٌ

(١) مألُكَةً : رسالة .

(٢) عليّة بنت المهدي : شاعرة ماجنة عباسية ، وإبراهيم الموصلي : مغنّ .

عبث وغفلة

في ديوان أبي فراس وأخباره أنه مَجَن في بعض الفترات من حياته ،
ولها ، وغفلَ يقول :

يا ليلة لستُ أنسى طيبها أبداً	كأن كل سرور حاضر فيها
باتتُ وبتُ وبتَ الزقُ ثالثاً	حتى الصباح تُسقِني وأُسقيها ^(١)
كأن سود عناقيدٍ يلُمِّيها	أهدتُ سلافتها صِرْفاً إلى فيها ^(٢)

وقال أيضاً :

تواعدتُنا بأذار	لِسَفي غير مختار
وقمنا نَسحبُ الرِّيطَ	إلى حاتةِ خمار ^(٣)
وما في طلبِ اللهو	على الفتيانِ مِن عار

ويقول :

أقبلتُ كالبدر تسعى	غَماً نحوي براح
قلتُ أهلاً بفتاةٍ	حملتُ نورَ الصُّباح
عللي بالكأسِ مَنْ	أصبح منها غيرَ صاح

(١) باتتُ : الضمير يعود إلى السَّاقية . الزقُ : وعاء للخمر .

(٢) اللَّمةُ : ما جاوز شحمة الأذن من الشعر . سلافة : خمر . صِرْفاً : خالصة .

(٣) الرِّيطُ : الملاعة . أي التوب .

أسر الروم له

خرج أبو فراس مرةً إلى الصيد في ضواحي منبج سنة ٣٥١ هـ مع بعض غلمانته ، ولما كان في طريق إيباه باغته تيودور البيزنطي في كتيبة مسلحة ، فقاوم أبو فراس حتى أنشخته الجراح ، عندئذ أسره الروم وذهبوا به إلى خرشنة ، على الفرات ، فبقي في حصنها مدة ، ثم نقلوه إلى القسطنطينية ، وبقي في أسره إلى سنة ٣٥٥ هـ . ومعنى هذا أن مدة أسره كانت أربعة أعوام ، ويقال بل كانت سبعة أعوام ، فيكون ابتلاؤها بجلود سنة ٣٤٨ هـ .

وخلال سنوات أسره ألف قصائد عُرفت بالروميات ، وهي تفيض بمشاعر الأسى والحنين إلى الوطن والأهل ، وبالإلحاح على سيف الدولة كيما يفتكه ، ويمكن تعليل تأخير سيف الدولة افتكاكه بأحد أمرين ، الأول أنه كان لدى الروم أسرى كثيرون من المسلمين ، سوى أبي فراس ، بلغوا ثلاثة آلاف ، وكان لدى سيف الدولة أسرى من الروم كثر ، فانتظر إلى أن جرت مفاوضات لتبادل الأسرى ، وتم ذلك التبادل في بلدة خرشنة سنة ٣٥٥ هـ .

والأمر الآخر أن سيف الدولة ربما لمح في نفس أبي فراس بعض أمارات انقلابية ، فلم يطمئن إليه . فقد كان في نفس أبي فراس طموح كبير ، وهو طموح جعله يصطدم مع المتنبي في بلاط سيف الدولة ، وهو طموح أدى إلى قتله فيما بعد ، إذ مات سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ ، فأعقبه ابنه أبو المعالي ، وكان صغيراً ، فكان قرغوثيه وصياً عليه ، فطمع أبو فراس بالحكم ، وثار في حمص ، وأخفقت ثورته ، وأصيب إصابةً بالغة ، فقال يخاطب ابنته وهو في أنفاسه الأخيرة :

أَبْنَيْتَنِي لَا تَحْزَنِي	كُلُّ الْأَكْثَامِ إِلَى الذَّهَابِ
أَبْنَيْتَنِي صَبْرًا جَمِيدًا	لَا لِلْجَلِيلِ مِنَ الْمَصَابِ
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ	مَنْ خَلْفَ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ
قَوْلِي إِذَا نَادَيْتَنِي	وَعَيَّتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ
زَيْنُ الشُّبَّابِ أَبُو فَرَا	مَنْ لَمْ يُتَمَنَّعْ بِالشُّبَّابِ

وكان مصرعه سنة ٣٥٧ هـ .

أغراض شعره

ينطوي ديوان أبي فراس على فخر وغزل ورثاء ووصف وأغراض أخرى ، يَدَّ أَنْ أُبْرَزَ قِصَائِدَهُ هِيَ الرُّومِيَّاتُ ، فَهِيَ تَتَقَدُّ أَحَاسِيسَ وَتَضْطَرِّمُ مَشَاعِرَ وَعَوَاطِفَ وَانْفِعَالَاتٍ ، سِوَاءِ كَانَتْ فِي الْحَيْنِ وَالشُّوقِ ، أَمْ فِي اسْتِعْطَافِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لِيَفْكِهِ ، أَمْ فِي الْاِفْتِخَارِ بِسَالِفِ أَجْحَادِهِ أَوْ أَجْحَادِ الْحَمْدَانِيِّينَ .

من روميّة له

دَعَوْتُكَ لِلجَفْنِ الْقَرِيحِ الْمُسَهَّدِ	لَدَيْ ، وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيلِ الْمَشْرَدِ ^(١)
وَمَا ذَاكَ بَخْلًا بِالحَيَاةِ ، وَإِنِّهَا	لَأَوَّلُ مَبْذُولٍ لِأَوَّلِ مُجْتَدِ ^(٢)
وَمَا الْأَسْرُ مَا ضَفَقْتُ ذُرْعًا بِحَمْلِهِ	وَمَا الْخَطْبُ مِمَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ قَدْ ^(٣)
وَلَكَنِّي أَخْتَارُ مَوْتَ بَنِي أَبِي	عَلَى صَهَوَاتِ الْخَيْلِ غَيْرِ مُؤَمَّدِ

(١) القريح : الجريح . المسهد : المورق .

(٢) مجتد : طالب لها .

(٣) قد : اسم فعل مضارع . معني يكفي .

بأيدي النصارى موت أكمَدَ أَكْبَدُ^(١)
فكن خير مدعو وأكرم منجد^(٢)
فلست عن الفعل الكريم بمقعد^(٣)
شديداً على البأساء غير ملهد^(٤)
وإنك للنجم الذي بك أمتدي
لقد أخلقت تلك الثياب فجدد^(٥)

وتأبى وآبى أن أموت مومئداً
دعوتك والأبواب تُرجح دوننا
ولا تقعدن عني - وقد سيم فذيتي
متى تلد الأتيام مثلي لكم قسئ
وإنك للمولى الذي بك أمتدي
فيا ملبسي النعسي التي جل قدرها

رومية أخرى

أيا جارتا لو تشعرين بحالي
ولا خطرت منك الهموم ببال
على غصن نائي المسافة عالي^(١)
تعالى أقاسمك الهموم تعالي
تردد في جئني يعذب بال^(٢)
ويمسك محزون ويندب سالي
ولكن دمعي في الحوادث غالي

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى
أتحمل محزون القواد قوادم
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالى ترى نفساً لدي ضعيفة
أضحك مأسور وتبكي طليقة
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة

(١) أكمَد : حزين . أكبد : مصاب (مريض) في كبده .

(٢) تُرجح : تُقل ، تُغلق .

(٣) عرف الروم أن أبا فراس أمير منبج ، فعرضوا على سيف الدولة أن يُطلق لهم ابن
أخت ملك الروم ، وكان أسيراً لدى سيف الدولة ، لقاء تسليمه أبا فراس . سيم :
طلب .

(٤) ملهد : ضعيف ، مدفع . (٥) أخلقت : بليت .

(٦) القوادم : أربع ريشات طويلات في مقدم جناح الطائر . نائي : بعيد .

(٧) بال : مُدنف ، ضعيف .

رومية اخرى :

ما خفت أسباب المنية
من الفدا نفس أبيّة
أرض هاتيك التقيّة (١)
تفدّ في البريّة
رُزء على قدر الرزية
في كل غلاية تحية
في نفس زكية
وثقي بفضل الله فيه (٢)
لله لطف خفية
هـ ، وكم كفانا من بلية
فإنه خير الوصية

لولا العجز بمنّيج
ولكان لي عما سألت
لم تطرق نوب الحوادث
لكن قضاء الله والأحكام
والصبر يلتي كل ذي
لا زال يطرق منبجاً
فيها التقى والذين مجموعان
يا أمّنا لانياسي
يا أمّنا لانياسي
كم حداثاً عنا جلا
أوصيك بالصبر الجميل

من رومية أخرى

ترك الروم عليه ثيابه التي أسير بها ، ودرعه وسلاحه ، لكنهم منوا
عليه بذلك فقال يردّ على ذلك ، ويعتذر عن أسره :

أراك غصبيّ الدمع شيمتك الصبر
بلى أنا مشتاق وعندي لوعة
كأنّي أنادي يوم ميثاء ظبية
أما للهوى نهني عليك ولا أمر
ولكن مثلي لا يذاع له سر
على شرف ظمياء حليتها الذعر (٤)

(١) تطرق : تصيب . النوب : المصائب . (٢) الرُزء والرزية : المصيبة .

(٣) في : جار مجرور . وألهاء للسكّت (للقف) .

(٤) ميثاء : اسم موضع . شرف : مرتفع . ظمياء : قليلة اللحم . حليتها الذعر : أجمل
أحوالها عندما تكون خائفة مذعورة متيقظة ، لأنها عندئذ تمدّ عنقها ، وتحذق
ينصرها بشكل خلّاب .

وَأَنِّي لَنَزَالٌ بِكَلِّمْ مَخُوفَةً
وَأَنِّي لَجَرَّارٌ لِّكُلِّ كَتِيْبَةٍ
فَأَصْدَى إِلَى أَنْ تَرْتَوِي الْبَيْضَ وَالْقَنَا
وَلَا أَصْبَحُ الْحَيَّ الْغَيُورَ لِفَارَةٍ
وَيَلَابِ دَارٍ لَمْ تُخَفِّنِي مِنْعَةٍ
وَلَا رَاحٍ يُطْفِئُنِي بِثَوَابِهِ الْقَسَى
وَمَا حَاجَتِي فِي الْمَالِ بَغْيٍ وَفُورِهِ
أَمِيزْتُ وَمَا صَحْبِي بِغُرْلٍ لَدَى الْوُغَى
وَلَكِنْ إِذَا حُمَ الْقَضَاءُ عَلَى امْرِئٍ
وَقَالَ أَصِاحِبِي الْفَرَارُ أَوْ الرَّدَى
وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعْينُنِي
يَمْنُونُ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي وَإِنَّمَا
وَقَلَمُ سَيْفٍ فِيهِمْ دَقٌّ نَصَلُهُ
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدْهُمُ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ أَكْتَفُوا بِهِ

كثِيرٌ إِلَى نَزَالِهَا النَّظَرُ الشَّرُّزُ^(١)
مَعُودَةٍ أَنْ لَا يُخَلَّ بِهَا النَّصْرُ
وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبِعَ الذَّنْبُ وَالنَّصْرُ^(٢)
أَوْ الْجِيْشَ مَا لَمْ تَلَيْهِ قَبْلِي النَّذْرُ^(٣)
طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ
وَلَا بَاتَ يَثْنِينِي عَنِ الْكَرَمِ الْفَقْرُ
إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي فَلَا وَفَرَ الْوَفْرُ^(٤)
وَلَا فَرَسِي مُهَرَّ وَلَا رُبُّهُ غُمْرُ^(٥)
فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ^(٦)
فَقُلْتُ هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرٌّ
وَحَصْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ
عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ خُمْرُ^(٧)
وَأَعْقَابُ رُمَحٍ فِيهِمْ خُطْمُ الصُّنْدُرِ^(٨)
وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يَفْتَقِدُ الْبَذْرُ^(٩)
وَمَا كَانَ يَغْلُو التَّنْبُرُ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ^(١٠)

(١) مخوفة : مكان مُرْعَب مخيف . النَّظَرُ الشَّرُّزُ : الكريه ، أي ينظرون إليها نظرة كراهة .

(٢) أصدى : أعطش . البيض : السيوف . القنا : الرماح . أسغب : أجوع .

(٣) أصبح : أهاجم صباحاً .

(٤) أفر عرضي : أحياه .

(٥) غمر : جاهل .

(٦) حُم : قُلْر .

(٧) يشير إلى إيقائهم له سلاحه وثيابه . خلوا : تركوا . (٨) دق : كمبر .

(٩) في البيت تشبيه ضمعي ، يشبه حالة افتقاد قومه له في الحروب بافتقاد القمر وتذكّره في الظلمة .

(١٠) التبر : خالص الذهب . الصفّر : التحلس .

ونحن أناس لا توسط بيننا
تَهُونُ علينا في المعالي نفوسنا
لنا الصَّدْرُ دون العالمين أو القَبْرُ
وأكرم من فوق التُّراب ولا فخرُ

رومية أخرى

وحي أكناف المصلّى ^(١)	قف في رسوم المستجاب
بها ، فالنهر أعلّى	فالجوسق الميمون ، فالسُفيا
لا أراها الله محلاً ^(٢)	تلك المنازل والملاعبُ
وجئت منبج لي محلاً	أوطنتها زمن الصبا
ساجداً وسكنت ظلاً	حيث التفت رأيت ماء
منزلاً رخباً مطيلاً ^(٣)	تر دار وادي عين قاصر
وتسكن الحصن المطى	وتحل بالجسر الجنان
هزج الذباب إذا تجلى	تجلو عرائسه لنا
جير اجتينا العيش سهلاً ^(٤)	وإذا نزلنا بالسوا
الروض في الشطّين فصلاً	والماء يفصل بين زهر

(١) يغلو : يكون غالياً . وتعدّى هنا إلى الهاء مباشرة ، وفي الأصل لم يغل عليه .

(٢) الرسوم : آثار الديار . مفردها رسم . أكناف : جوانب . المستجاب والمصلّى :

موضعان . وكذلك الجوسق في البيت التالي .

(٣) محلاً : قحطاً .

(٤) وادي عين قاصر : اسم موضع .

(٥) الساجور : التّور . وهنا اسم موضع .

كيساط وثني ، جَرَدْتُ
مَنْ كَانَ سُرَّ بِمَا عَرَانِي
لَمْ أَخْلُ فِيمَا نَابَنِي
رُعْتُ الْقُلُوبَ مَهَابَةً
مَا غَضُّ مَنِّي حَادَثُ
أَنْسَى حَلَلْتُ فَبَتَّمَا
فَلَنْ خَلَصْتُ فَبَتَّنِي
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفُ زَا
وَلَنْ قُتِلْتُ فَبَتَّمَا
يَغْتَرُ بِالدُّنْيَا الْجَهْلُولُ

أَيْدِي الْقِيُونَ عَلَيْهِ نَصَلًا^(١)
فَلَيْمْتُ ضُرًّا وَهَزَلًا
مَنْ أَنْ أَعَزُّ وَأَنْ أَجَلًا
وَمَلَكُهَا فَضْلًا وَنَيْلًا
وَالْقَرْمُ قَرَمَ حَيْثُ حَلَا^(٢)
يَدْعُونَنِي السَّيْفُ الْمُحَلَّى
شَرَقُ الْعَدَى طِفْلًا وَكُهْلًا^(٣)
د عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ صَقْلًا
مَوْتُ الْكِرَامِ الصَّيْدُ قَتْلًا^(٤)
وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا مَمْلَى^(٥)

(١) القيون : جمع قين ، وهو الحداد .

(٢) القرم : الفحل . البطل .

(٣) شرق : ما يغصّ لدى ذكره أعضاؤه .

(٤) الصيد : السادة الأعزاء .

(٥) مملّى : إمهال . ليست الدنيا دار بقاء .

تعليق على النص الأخير

يبدأ الشاعر أبياته بالوقوف على الأطلال ، ويتغنى بذكر مواقعها أيام الصبا ، ويدعو لها بالخير ، ثم يذكر منبجاً ، وهي عنده ماء كثير ، وظلّ ظليل ، ومنظر جميل .

ويتقل من التعبير عن عاطفة الين والشوق إلى الحديث عن الشامتين ، فيصبّ عليهم جام سُخطه ، ويفخر بصبره وشجاعته وثباته ، أمام الأعداء ، وأمام النوائب ، ويُنتهي أبياته بتعزية نفسه بأنّ الكريم معرض للموت ، فلا تثريب عليه إن قتل ، وليست الدنيا بدار قرار .

والأبيات ندية بالعاطفة ، وهي متنوعة ، فيها شوق وحنين وحبّ وكره وزهو وخيلاء .

وألفاظ النصّ سهلة تصدر من نبع غزير ، ولها رنة موسيقية حسنة الوقع في السَّمْع ، وفي بعضها إحاء مثل كلمة الملاعب التي تصوّر أطوار الصبا والشباب ، وكلمة الظل توحى بمناظر الأشجار والحدائق التي ترتاح إليها النفوس .

ويغلب على جملة الطول والإطناب ، ولها إيقاع موسيقي سريع يتأتى من نغمة مجزوء الكامل ، وهي نغمة راتبة تلائم جواء الأسر .

والأبيات غنيّة بالصور الموجزة أو المفصّلة ، ومن صوره الموجزة تلك
الأشجار التي تمدّ ظلّها ، ومن الصّور المفصّلة صورة منبج ، وهي تعتمد على
التشبيه التمثيلي ، وتسمّ بالهدوء والصفاء والنقاء والجمال ، وإن لم يكن فيها
حرير الماء وحفيف الأشجار ، وتغريد الأطيّار .

والأبيات تمتاز بصدق العاطفة ، وعذوبة اللفظ ، وسلاسة الأسلوب ،
وجمال الخيال ، وأبرز خصائصها طرّاً الاتّقاد العاطفيّ الذي أسعرتّه مرارةُ
الأسر ، ومصاعبُ الغربة .